

معركة المصير الواحد

من الطبيعي في هذه المرحلة الصاعدة من تاريخ امتنا العربية ان يتركز انتباهنا على مواطن الضعف والنقص التي مازالت تشوب حياتنا القومية اكثر من تركيز هذا الانتباه على ما حققناه حتى الان من قوة وتقدم . يكون هذا عادة في الاوقات التي تسبق المعارك الحاسمة ويكون بدافع الطموح واستعجال التقدم الذي تنشده الامة لنفسها . وهي اوقات يكثف فيها النقد وتحتد الاعصاب . ولكن ما ان تجيء المعركة ونغدو في ساحتها وصميمها حتى تنقش الغشاوات تدريجاً عن جميع الكنوز الايجابية التي اختزنتها الامة بعملها البطيء ونضالها الطويل ، فتتعرف الامة في وهج المعركة الى وجهها الحقيقي وتبدأ مفاجأتها لنفسها تتوالى ، وثقتها بنفسها تنمو وتمتد بعيداً في العمق .

وهذه المعركة التي دبرها الاستعمار على أوقح شكل عرفه تاريخ البغي والعدوان ، والتي لا يستطيع الذي يراقبها من الخارج الا ان يعتبرها مثلاً فريداً في الحمق والخرق ، انما هي بالنسبة الى الامة العربية جزء اصيل خطير من مرحلة انبعاثها وتقدمها تتلخص فيه وتمتحن جميع الاجزاء السابقة ، وهي ايضاً بالنسبة الى تاريخ الانسانية وفي نظر من يحياها من الداخل معركة جدية كل الجد ونتيجة طبيعية محتومة لنظام الاستعمار وعقلية العدوان وموقف فاصل سينتهي بتصفية ما هو غير جدير بالبقاء .

انها معركة الامة العربية اولاً ومعركة الانسانية الجديدة ثانياً . ونقول انها معركتنا اولاً لان نضع مصلحتنا في المرتبة الاولى ، ولكن لأن الانسانية لا تتحرك ولا تعبر

انتباهها، وهي في ذلك على حق، الا للقضايا الصادقة التي يبرهن اصحابها بمدى نضالهم وتضحياتهم في سبيلها، على مدى صدقهم في التعلق بها. ولأول مرة منذ مئات السنين يقف العرب موقف الأمة الواحدة يناضلون في سبيل قضيتهم ويعترف لهم العالم بأنهم امة واحدة، وبأن قضيتهم ليست قضيتهم وحدهم بل هي قضية الحق والعدل والحرية.

ولأول مرة منذ مئات السنين وبعد عهود التخلف ومآسي التجزئة يقف قطر عربي تمثلت فيه هذه العهود والمآسي على اقوى شكل ليفكر ويتكلم ويعمل باسم الامة العربية الواحدة وباسم مصلحتها ورسالتها مدفوعاً بالايمان العميق والوعي الصافي بأن سلوكه هذا الثن اكسبه عداوة الاعداء في الخارج والداخل، فانه يكسبه في الوقت نفسه تأييد الشعب العربي بكامله وفي جميع اقطاره، ولئن عجل في اثارة اطماع الاستعمار واحقاده، فلقد عجل ايضاً في انضاج وعي الشعب العربي وارادته وفي اصاله بقفزة تاريخية الى مرتبة الامة الواضحة الشخصية.

وعندما تبلغ السياسة هذا المستوى من الاصاله تتبدل النظرة والمقاييس وتحتجب حسابات الربح والخسارة ويتضاءل الحاضر بكل ما فيه لكي يتجه كل جهدنا الى بناء المستقبل وانقاذ الفكرة التي تضمن ان يكون لنا مستقبل. فليست القضية اليوم ان نربح او نخسر مع عدولا ننكر انه قوي وان كنا نؤمن أن امكانيات الامة العربية تستطيع أن تضمن لنا النصر في المعركة، ولكن القضية هي ان نخلص لمثلنا ولوحدة مصيرنا، لان احداً من العرب لا يجهل ان هذه المعركة التي نخوضها وتقودها مصر هي بالدرجة الاولى معركة الوحدة العربية، والوحدة العربية بالنسبة للعرب ليست مجرد حشد للقوة وتعزيز للبأس والسلطان - كما حدث ذلك بالنسبة لبعض الشعوب - بل هي وحدة شفافة ترتسم عليها جميع الآلام والتجارب السلبية التي عانوها وتترأى من خلالها صورة نزوعهم الى الحق والحرية وطمأهم الى البناء والتعاون.

وقد تمثل كل ذلك في مصر وفي المعركة الحاضرة، وكانت الدول الاستعمارية واسرائيل اول من انتبه الى هذه الحقيقة، فركزت كل هجومها على مصر وصممت

على تحطيمها لتحطم بذلك امل العرب في الوحدة. وقد تستطيع الدول الاستعمارية واسرائيل ان تتفوق على مصر في قوة السلاح وان تنزل بها الخسائر دون أن يؤثر ذلك في مصير المعركة، ولكن شيئاً واحداً يمكن ان ينزل بنا من الاضرار اكثر مما تنزله جميع جيوش الاعداء واسلحتها الفتاكة وان يصيب منا مقتلاً اذا نحن قصرنا ونهاونا في واجب التضامن العربي على اقوى ما يكون التضامن. وفي سبيل هذا تهون اجسام التضحيات، فالشعب العربي مطالب في كل مكان ان يختار، ليس بين ربح المعركة او خسارتها امام الاستعمار واسرائيل، بل بين ربح أو خسارة وحدته وانقاذ معنى وجوده بتحقيق تضامنه الفعال وتجسيد عرويته في النضال.

والجيل العربي الجديد الذي قدر له ان يعطي بفكره ونضاله مفهوم العروبة الحديثة ويشق الطريق الصحيح للوحدة العربية، مسؤول قبل غيره في هذه المعركة التي هي النتيجة المنطقية لدعوته ونضاله، عن وقوف الموقف الذي يرسخ في الشعب العربي الثقة والعقيدة، ويحملة الى جو البطولة والتضحية.

٢ تشرين الثاني ١٩٥٦